

مُقَدِّمَةٌ

تَطْهِيرُ الْإِعْتِقَادِ وَشَرْحُ الصُّدُورِ

لِلْإِمَامَيْنِ الْيَمَنِيِّينِ الصَّنَعَائِفِ وَالشُّوكَايِفِ

تَأَلِيفُ

عَبْدِ الْمُحْسِنِ بْنِ عَبْدِ الْعَبَّاسِ السَّبْرِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق الخلق لعبادته، وأمرهم بتوحيده وطاعته، وأشهد أن
إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وأشهد
أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فبلغ
الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله
وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أمَّا بعد، فإنَّ نعم الله على عباده كثيرة لا تُعدُّ ولا تُحصى، وأعظمُ نعمة أنعم
بها على أهل الأرض أن بعث فيهم رُسُلَهُ الكرام، ليُخرجوهم بإذن ربِّهم من
الظلمات إلى النور، ويُبينوا لهم أنَّ الواجبَ عليهم إخلاص العبادة لله وحده،
وَألَّا يشركوا به أحداً من مخلوقاته، وقد قام الرسلُ الكرام بتبليغ ما أمروا
بتبليغه على التمام والكمال، وقد ختم الله هذه الرسالات برسالة نبينا محمد ﷺ
إلى الثقلين الجنِّ والإنس، وهم أمته أي أمة الدعوة، فدَّهَمَ على كلِّ خير،
وحذَّره من كلِّ شرٍّ، وأعظمُ شيء دَّهَمَ عليه أفراد الله بالعبادة، وأعظمُ شيء
نهاهم عنه أن يجعلوا مع الله آلهة أخرى، فَمَن وَّفَّقَه الله منهم استسلم وانقاد لما
جاء به الرسول ﷺ، ومَن كان من أهل الخذلان أعرض عن الحقِّ والهدى
الذي جاء به الرسول ﷺ، فخرس الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

ومن أعظم الوسائل التي تفضي إلى الشرك البناء على القبور وتعظيمها،
ولهذا جاءت الأحاديث الكثيرة المتواترة عن رسول الله ﷺ في تحريم البناء على
القبور واتخاذها مساجد، ومنها ما قاله رسول الله ﷺ قبل وفاته بخمس ليالٍ،
ومنها ما قاله عند نزع روحه ﷺ، وفي ذلك الدلالة الواضحة على أنَّها مُحْكَمَةٌ
غير منسوخة؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ لم يعيش بعد أن قالها، فلا يكون هناك مجال

للسنخ، وهذا من كمال بيانه ونصحه لأُمَّته وشفقته عليها صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

وقد اعتنى العلماء قديماً وحديثاً ببيان خطر البناء على القبور والافتتان بها، وأنَّ ذلك يُفضي إلى الشرك، ومن هؤلاء العلماء عالمان يَمينان عاش أحدهما في القرن الثاني عشر، والآخر في القرن الثاني عشر والثالث عشر، وهما الشيخ الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني المولود سنة (١٠٩٩هـ)، والمتوفى سنة (١١٨٢هـ)، وقد أَلَفَ في ذلك كتابه «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد»، والثاني الشيخ الإمام محمد ابن علي الشوكاني، المولود سنة (١١٧٢هـ)، والمتوفى سنة (١٢٥٠هـ)، وقد أَلَفَ في ذلك كتابه: «شرح الصدور في تحريم رفع القبور».

وقد رأيت أن أجمع بين هذين الكتابين تيسيراً للانتفاع بهما، مع التعليق على مواضع منهما، وأن أقدم بين يدي ذلك بمقدمة تشتمل على خمسة فصول:

الفصل الأول: في التعريف بالإمامين الصنعاني والشوكاني وكتابيهما «تطهير الاعتقاد» و«شرح الصدور» من كلام شيخنا الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمته الله، نقلاً من تقديمه للجامع الفريد طبعة الجميع.

الفصل الثاني: في بيان تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

الفصل الثالث: في اتفاق دعوة الرسل على أفراد الله بالعبادة، واتفاق أقوامهم على معارضتهم واتباعهم ملّة الآباء.

الفصل الرابع: في تحريم البناء على القبور واتخاذها مساجد وما يُفضي إليه من الشرك بدعاء أهلها والاستغاثة بهم وسؤالهم قضاء الحاجات وكشف

الكربات، وغير ذلك مما لا يُطلب إلا من الله.

الفصل الخامس: في حكم دعاء أصحاب القبور والاستغاثة بهم، ومتى

يُحکم على من دعاهم واستغاث بهم بالكفر؟

وأسأل الله عزَّ وجلَّ أن ينفَع بهذا العمل، وأن يوفِّق المسلمين للفقهِ في

دينهم وعبادة ربِّهم على الوجه الذي شرعه لهم، وأن يُسلِّمهم من الوقوع في

الشرك، وأن يقيهم الوسائل والذرائع الموصلة إليه، وصلى الله وسلم وبارك

على عبده ورسوله نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه.



الفصل الأول:

في التعريف بالإمامين الصنعاني والشوكاني وكتابيهما « تطهير الاعتقاد » و« شرح الصدور » من كلام شيخنا الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمته الله، نقلا من تقديمه للجامع الفريد طبعة الجميع.

أولاً: الإمام الصنعاني:

« هو العالم الفاضل محدث وقته وفقه زمانه الشيخ محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير الكحلاني ثم الصنعاني، وُلد بكحلان عام (١٠٩٩هـ)، وُحِبَّت إليه الرحلة في طلب العلم، وانتقل إلى صنعاء وأخذ عن علمائها، ثم رحل إلى الحجاز وأخذ عن كبار علماء مكة والمدينة، ثم عاد إلى صنعاء لنشر العلم، وإحياء السنة والقضاء على البدعة، فجلس للتدريس وبذل فيه جهده، حتى اشتهر أمره وعلا قدره وارتفع سهمه، وصار مرجعاً لأهل العلم ببلاده، ونهض بالدعوة إلى الإصلاح، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وصدع بالحقّ وشدّد في النكير على المبتدعة والمنحرفين، لا يُبالي بما يُصيبه من أذاهم، ولا يخشى في الله لومة لائم، فكفاه الله غائلتهم، واجتمع حوله خلق كثير، وكان له من الأثر المحمود ما نرجو أن يجزيه الله به خير الجزاء.

وإلى جانب ما قام به بعد التدريس والوعظ والإصلاح، ألّف كتباً ورسائل كثيرة، منها: « سبل السلام شرح بلوغ المرام »، و« العدة »، وهي تعليقات حشّى بها الأحكام لابن دقيق العيد على « عمدة الأحكام »، و« قصب السكر نظم نخبة الفكر » لابن حجر، وشرحه بكتاب سَمَاء « إسبال المطر »، و« إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد »، و« تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد »، وهو

الكتاب الذي نقدّمه للقراء.

إنّ هذا الكتاب مع صغر حجمه عَظُمَ نفعه وعمّت فائدته، وقد ربّته المؤلف على مقدمة وخمسة أصول وجملة فصول، أمّا المقدمة فذكر فيها ما حمّله على تأليفه من انتشار الشرك في الأمصار والبلاد بتعظيم السواد الأعظم من الناس للقبور ومن فيها تعظيماً لا ينبغي أن يكون إلّا لله وحده، واعتقادهم في الكهنة الذين يزعمون الكشف وعلم الغيب، وتصديقهم إيّاهم في ذلك، وأمّا الأصول ففي بيان أنّ القرآن حقٌّ وقولٌ صدق، وأنّ الرسل إنّما بُعثوا بتوحيد الألوهية، وأنّه أساس صحة العبادة وقبولها، أمّا توحيد الربوبية فهو مركز في الفطر، وقد أقرّ به المشركون، ولكنّه لا يُغني عنهم شيئاً لإخلاقهم بتوحيد العبادة، وأمّا الفصول فقد فصل فيها ما أجمله في الأصول الخمسة من أنواع العبادة والاستدلال عليها، وذكر فيها كثيراً من الشبه التي يتعلّل بها المبتدعة لشركهم وأجاب عنها، وجعل ذلك على صورة السؤال والجواب؛ تحديداً للمطلوب وتيسيراً للفهم حتى تقوم الحجة ويتم الإعذار، فالله أسأل أن يغفر لنا وله ويفيض علينا من رحماته ويسكننا فسيح جنّاته، إنّه مجيب الدعاء، وصلى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.»



ثانياً: الإمام الشوكاني:

« هو العالم الفاضل الشيخ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني، وُلد في ذي القعدة عام (١١٧٢هـ)، وتوفي في جمادى الآخرة عام (١٢٥٠هـ) رحمته الله. »

حفظ القرآن وجوّده على جماعة من المعلمين بصنعاء، وحفظ كثيراً من المتون في الفقه وأصوله وفي النحو والبلاغة والمنطق وأدب البحث والمناظرة وغيرها من الفنون المختلفة، ثم حضر مجالس العلماء فتلقّى عنهم شروح هذه المتون وغيرها من المؤلفات، وبذل جهده في ذلك حتى تفوّق في كثير من علوم الشريعة واللغة العربية، واشتغل بالتدريس والتأليف حتى لقي ربّه فانتفع به خلق كثير، وانتشرت مؤلفاته بين المتعلمين في الأمصار والبلاد، وهي كثيرة منها: « نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار »، و« إرشاد الفحول في علم الأصول »، و« الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد »، و« مفيد المستفيد في الردّ على من أنكر الاجتهاد من أهل التقليد »، و« رسالة شرح الصدور في تحريم رفع القبور »، وهي التي نقدّمها للقراء.

بدأ المؤلفُ هذه الرسالة ببيان وجوب الردّ عند الاختلاف إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأنها الحكم العدل الذي يفصل بين الحقّ والباطل عند الاختلاف، واستدلّ على ذلك بالكتاب والسنة والإجماع، وأنّ العلماء وإن تفاوتوا في تحمل المسؤولية وفي الفضل والجزاء تبعاً لتفاوتهم في العلم والإمامة والوجاهة، فلا يصح أن يتعلّل بذلك في جعل بعضهم حجة على بعض، عند

التنازع في المسائل العلمية^(١)، وإنما يوجب ذلك التعاون بينهم فيأخذ القويُّ بيد الضعيف، ويكشف عن غامض المسائل وأدلَّتْها، ويدله على طرق الاستدلال حتى ينهض ويصير في عداد العلماء، ثم ذكر مسألة تحريم رفع القبور والبناء عليها على سبيل المثال؛ ليوضح بذلك طريقة العلماء في الرجوع عند التنازع إلى الكتاب والسنة، فذكر الأحاديث الكثيرة في تحريم رفع القبور والبناء عليها ووجوب هدم ما كان مبنياً عليها، وتحريم اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، ولعن مَنْ فعل ذلك، وبيّن وجه الاستدلال بها على المطلوب، والحكمة التي روعيت في ذلك، وأفاض في ذكر الفتن التي تنشأ عن هذه البدع، وأثَّه ذريعة إلى الشرك الأكبر، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وجمعنا وإيَّاه في دار كرامته، وصلى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين».



(١) في المطبوع: «وَأَذِنَ فِي الْعُلَمَاءِ وَإِنْ تَفَاوَتُوا فِي تَحْمِيلِ الْمَسْئُولِيَّةِ وَفِي الْفَضْلِ وَالْجِزَاءِ تَبَعاً لَتَفَاوُتِهِمْ فِي الْعِلْمِ وَالْإِمَامَةِ وَالْوَجَاهَةِ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَتَعَلَّلَ بِذَلِكَ فِي جَعْلِ بَعْضِهِمْ حُجَّةً بَعْضُ...»، ولعل الصواب ما أثبتته.

الفصل الثاني:

في بيان تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

الإيمان بالله يشمل الإيمان بوجوده وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وأنه سبحانه وتعالى متَّصِفٌ بكلِّ كمال يليق به، منزَّهٌ عن كلِّ نقص، فيجب توحيدَه برُبوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

وتوحيدَه برُبوبيته الإقرارُ بأنَّه واحد في أفعاله، لا شريك له فيها، كالحلق والرِّزق والإحياء والإماتة، وتدبير الأمور والتصرّف في الكون، وغير ذلك ممَّا يتعلّق برُبوبيته.

وتوحيد الألوهية توحيدَه بأفعال العباد، كالدعاء والخوف والرّجاء والتوكّل والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والدّبح والنذر، وغيرها من أنواع العبادة التي يجب إفراده بها، فلا يُصرف منها شيء لغيره، ولو كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلًا، فضلاً عمّن سواهما.

وأما توحيد الأسماء والصفات، فهو إثبات كلِّ ما أثبتَه لنفسه وأثبتَه له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على وجه يليق بكماله وجلاله، دون تكيف أو تمثيل، ودون تحريف أو تأويل أو تعطيل، وتنزيهه عن كلِّ ما لا يليق به، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فجمع في هذه الآية بين الإثبات والتنزيه، فالإثبات في قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، والتنزيه في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فله سبحانه وتعالى سمع لا كالأسماع، وبصر لا كالأبصار، وهكذا يُقال في كلِّ ما ثبت لله من الأسماء والصفات.

وهذا التقسيم لأنواع التوحيد عُرف بالاستقراء من نصوص الكتاب والسنة، ويتضح ذلك بأول سورة في القرآن، وآخر سورة؛ فإن كلاً منهما مشتملة على أنواع التوحيد الثلاثة.

فأمّا سورة الفاتحة، فإن الآية الأولى فيها، وهي: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مشتملة على هذه الأنواع؛ فإن ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فيها توحيد الألوهية؛ لأن إضافة الحمد إليه من العباد عبادة، وفي قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إثبات توحيد الربوبية، وهو كون الله عز وجل رب العالمين، والعالمون هم كل من سوى الله؛ فإنه ليس في الوجود إلا خالق ومخلوق، والله الخالق، وكل من سواه مخلوق، ومن أسماء الله الرب، وقبله لفظ الجلالة في هذه الآية.

وقوله: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مشتمل على توحيد الأسماء والصفات، والرحمن والرحيم اسمان من أسماء الله يدلان على صفة من صفات الله، وهي الرحمة، وأسماء الله كلها مشتقة، وليس فيها اسم جامد، وكل اسم من الأسماء يدل على صفة من صفاته.

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فيه إثبات توحيد الربوبية، وهو سبحانه مالك الدنيا والآخرة، وإنما خصّ يوم الدين بأن الله مالكه؛ لأن ذلك اليوم يخضع فيه الجميع لرب العالمين، بخلاف الدنيا، فإنه وجد فيها من عتا وتجرّب، وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾.

وقوله: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ فَسْتَعِينُ﴾ فيه إثبات توحيد الألوهية، وتقديم المفعول وهو ﴿إِيَّاكَ﴾ يفيد الحصر، والمعنى: نخصك بالعبادة والاستعانة، ولا نشرك معك أحداً.

وقوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿ فيه إثبات توحيد الألوهية؛ فإنَّ طلب الهداية من الله دعاءً، وقد قال رسول الله ﷺ: «الدعاء هو العبادة»، فيسأل العبد ربه في هذا الدعاء أن يهديه الصراط المستقيم الذي سلكه النبيون والصدّيقون والشهداء والصالحون، الذين هم أهل التوحيد، ويسأله أن يُجَنِّبه طريق المغضوب عليهم والضالّين، الذين لم يحصل منهم التوحيد، بل حصل منهم الشُّركُ بالله وعبادة غيره معه.

وأما سورة الناس، فقوله: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ فيه إثبات أنواع التوحيد الثلاثة؛ فإنَّ الاستعاذة بالله فيه توحيد الألوهية.

﴿ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ فيه إثبات توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وهو مثل قول الله عزَّ وجلَّ في أول الفاتحة: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

وقوله: ﴿ مَلِكِ النَّاسِ ﴾ فيه إثبات الربوبية والأسماء والصفات.

﴿ إِلَهِنَا ﴾ فيه إثبات الألوهية والأسماء والصفات.

والنسبة بين أنواع التوحيد الثلاثة هذه أن يُقال: إنَّ توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات مستلزمان لتوحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية متضمّنٌ لهما، والمعنى أنَّ مَنْ أقرَّ بالألوهية فإنَّه يكونُ مُقرّاً بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات؛ لأنَّ مَنْ أقرَّ بأنَّ الله هو المعبودُ وحده فخصَّه بالعبادة ولم يجعل له شريكاً فيها، لا يكون منكرًا أنَّ الله هو الخالقُ الرازقُ المحيي المميتُ، وأنَّ له الأسماء الحسنی والصفات العلی.

وأما مَنْ أقرَّ بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، فإنَّه يلزمه أن يُقرَّ بتوحيد الألوهية، وقد أقرَّ الكفَّارُ الذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ بتوحيد الربوبية، فلم يُدخلهم هذا الإقرارُ في الإسلام، بل قاتلهم النبيُّ ﷺ حتى

يَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، ولهذا يأتي كثيراً في القرآن تقريرُ توحيد الربوبية الذي أَقْرَبَهُ الْكُفَّارُ؛ لِإِلْزَامِهِمْ بِالْإِقْرَارِ بِتَوْحِيدِ الْأَلُوْهِيَّةِ، وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦٦﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا أَكْتُمُونَ لَا يَعْلَمُونَ أَتَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَدْكُرُونَ ﴿١٦٧﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦٨﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧٠﴾

ففي كل آية من هذه الآيات تقريرُ توحيد الربوبية للإلزام بتوحيد الألوهية، فيقول في كل آية من هذه الآيات الخمس عقب تقرير توحيد الربوبية: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، والمعنى أن مَنْ تَفَرَّدَ بِهَذِهِ الْأَفْعَالِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَعْمَالِ اللَّهِ وَحْدَهُ، يَجِبُ أَنْ يُخَصَّ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ؛ لِأَنَّ مَنْ اخْتَصَّ بِالْخَلْقِ وَالْإِيجَادِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَعْمَالِ اللَّهِ يَجِبُ أَنْ يُخَصَّ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ، وَكَيْفَ يُعْقَلُ أَنْ تَكُونَ الْمَخْلُوقَاتُ الَّتِي كَانَتْ عَدَمًا، وَقَدْ أَوْجَدَهَا اللَّهُ، كَيْفَ يُعْقَلُ أَنْ يَكُونَ لَهَا نَصِيبٌ مِنَ الْعِبَادَةِ وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ؟!

قال شيخنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمته الله في كتابه أضواء البيان (٣/ ٤٠٩ - ٤١٤) عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾: «فمن ذلك توحيد الله جلَّ وعلا، فقد هدى القرآن فيه للطريق التي هي أقوم»

الطرق وأعد لها، وهي توحيده جلّ وعلا في ربوبيّته وفي عبادته، وفي أسماائه وصفاته، وقد دلّ استقراء القرآن العظيم على أنّ توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيده في ربوبيّته، وهذا النوع من التوحيد جبلت عليه فطر العقلاء، قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ...﴾ الآية، وقال: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأُمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، وإنكار فرعون لهذا النوع من التوحيد في قوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ تجاهل من عارف أنّه عبدٌ مربوب؛ بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَاحِرٍ...﴾ الآية، وقوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾، وهذا النوع من التوحيد لا ينفع إلا بإخلاص العبادة لله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾، والآيات الدالة على ذلك كثيرة جدًا.

الثاني: توحيده جلّ وعلا في عبادته، وضابط هذا النوع من التوحيد هو تحقيق معنى (لا إله إلا الله)، وهي متركبة من نفي وإثبات، فمعنى النفي منها: خلع جميع أنواع المعبودات غير الله كائنة ما كانت في جميع أنواع العبادات كائنة ما كانت، ومعنى الإثبات منها: إفراد الله جلّ وعلا وحده بجميع أنواع العبادات بإخلاص، على الوجه الذي شرعه على السنة رسله عليهم الصلاة والسلام، وأكثر آيات القرآن في هذا النوع من التوحيد، وهو الذي فيه الممارك بين الرسل وأممهم ﴿أَجْعَلِ آلَهُةً لِنَهَا وَحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾.

ومن الآيات الدالة على هذا النوع من التوحيد قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ...﴾ الآية، وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا

أَبِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ ﴿١﴾، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿٢﴾، وقوله: ﴿وَسَقَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ ﴿٣﴾، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿٤﴾، فقد أمر في هذه الآية الكريمة أن يقول: إِنَّ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْهِ مَحْصُورٌ فِي هَذَا النُّوعِ مِنَ التَّوْحِيدِ؛ لشمول كلمة (لا إله إلا الله) لجميع ما جاء في الكتب؛ لأَنَّهَا تَقْتَضِي طَاعَةَ اللَّهِ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ، فيشمل ذلك جميع العقائد والأوامر والنواهي، وما يتبع ذلك من ثواب وعقاب، والآيات في هذا النوع من التوحيد كثيرة.

النوع الثالث: توحيدهِ جَلَّ وَعَلَا فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وهذا النوع من التوحيد ينبني على أصلين:

الأول: تنزيه الله جَلَّ وَعَلَا عن مشابهة المخلوقين في صفاتهم، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ﴿١﴾.

والثاني: الإيمان بما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ على الوجه اللائق بكماله وجلاله، كما قال بعد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ﴿٢﴾: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿٣﴾، مع قطع الطمع عن إدراك كيفية الاتِّصاف، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ ﴿٤﴾، وقد قدَّمنا هذا المبحث مستوفى موضحاً بالآيات القرآنية في سورة الأعراف.

ويكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته جَلَّ وَعَلَا على وجوب توحيدهِ في عبادته، ولذلك يُخَاطَبُهُمْ فِي تَوْحِيدِ الرَّبُوبِيَّةِ باستفهام التقرير، فإذا أقرُّوا بربوبيته احتجَّ بها عليهم على أَنَّهُ هُوَ الْمَسْتَحَقُّ لِأَنَّهُ يُعْبَدُ وَحْدَهُ، ووبَّخَهُمْ منكرًا عليهم شركهم به غيره، مع اعترافهم بأنَّه هو

الرب وحده؛ لأنَّ مَنْ اعترف بأنَّه هو الربُّ وحده لزمه الاعتراف بأنَّه هو المستحق لأن يُعبد وحده.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾، فلَمَّا أَقْرَأُوا بِرَبوبيتهِ وَبَخْهِمْ منكرًا عليهم شركهم به غيره بقوله: ﴿ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾.

ومنها قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ، فلَمَّا اعترفوا وَبَخْهِمْ منكرًا عليهم شركهم بقوله: ﴿ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾، ثم قال: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ، فلَمَّا أَقْرَأُوا وَبَخْهِمْ منكرًا عليهم شركهم بقوله: ﴿ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾، ثم قال: ﴿ قُلْ مَنْ مِنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَاوِزُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ، فلَمَّا أَقْرَأُوا وَبَخْهِمْ منكرًا عليهم شركهم بقوله: ﴿ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴾.

ومنها قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾، فلَمَّا صحَّ الاعتراف وَبَخْهِمْ منكرًا عليهم شركهم بقوله: ﴿ قُلْ أَفَأَتَّخِذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْ نَفْسِهِمْ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا ﴾.

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَإِلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾، فلَمَّا صحَّ إقرارهم وَبَخْهِمْ منكرًا عليهم بقوله: ﴿ فَأَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴾.

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَإِلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾، فلَمَّا صحَّ اعترافهم وَبَخْهِمْ منكرًا عليهم شركهم بقوله: ﴿ فَأَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴾، وقوله: ﴿ وَإِلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾، فلَمَّا صحَّ إقرارهم وَبَخْهِمْ منكرًا عليهم

شركهم بقوله: ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾، وقوله: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾، فلما صحَّ اعترافهم وبَّخهم منكرأ عليهم بقوله: ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ ءَآلِلَّهِ خَيْرٌ أَمْآ يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿ ١٦٠ ﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ﴾، ولا شكَّ أنَّ الجواب الذي لا جواب لهم البتة غيره: هو أنَّ القادرَ على خلق السموات والأرض وما ذكر معها خير من جماد لا يقدر على شيء، فلما تعيَّن اعترافهم وبَّخهم منكرأ عليهم بقوله: ﴿ أَوَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾، ثم قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾، ولا شكَّ أنَّ الجواب الذي لا جواب غيره كما قبله، فلما تعيَّن اعترافهم وبَّخهم منكرأ عليهم بقوله: ﴿ أَوَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، ثم قال جلَّ وعلا: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴾، ولا شكَّ أنَّ الجواب كما قبله، فلما تعيَّن إقرارهم بذلك وبَّخهم منكرأ عليهم بقوله: ﴿ أَوَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾، ثم قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾، ولا شكَّ أنَّ الجواب كما قبله، فلما تعيَّن إقرارهم بذلك وبَّخهم منكرأ عليهم بقوله: ﴿ أَوَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، ثم قال جلَّ وعلا: ﴿ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ ﴾، ولا شكَّ أنَّ الجواب كما قبله، فلما تعيَّن الاعتراف وبَّخهم منكرأ عليهم بقوله: ﴿ أَوَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾، وقوله: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ

مِنْ شَيْءٍ ۞، ولا شكَّ أنَّ الجواب الذي لا جواب لهم غيره هو: لا! أي ليس من شركائنا مَنْ يقدر على أن يفعل شيئاً من ذلك المذكور من الخلق والرِّزق والإماتة والإحياء، فلَمَّا تَعَيَّن اعترافهم وبَّخهم منكرًا عليهم بقوله: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُوْنَ﴾.

والآيات بنحو هذا كثيرة جدًا، ولأجل ذلك ذكرنا في غير هذا الموضع أنَّ كلَّ الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استسهامات تقرير، يُراد منها أنَّهم إذا أقرُّوا رتَّب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار؛ لأنَّ المقرَّ بالربوبية يلزمه الإقرارُ بالألوهية ضرورة، نحو قوله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾، وقوله: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْنِي رَبًّا﴾، وإن زعم بعض العلماء أنَّ هذا استسهام إنكار؛ لأنَّ استقراء القرآن دلَّ على أنَّ الاستسهام المتعلِّق بالربوبية استسهام تقرير وليس استسهام إنكار؛ لأنَّهم لا ينكرون الربوبية كما رأيت كثرة الآيات الدالَّة عليه.

والكلام على أقسام التوحيد ستجده إن شاء الله في مواضع كثيرة من هذا الكتاب المبارك، بحسب المناسبات في الآيات التي نتكلَّم على بيانها بآيات أخر.»



الفصل الثالث:

في اتفاق دعوة الرسل على أفراد الله بالعبادة، واتفاق أقوامهم على معارضتهم واتباعهم لملة الآباء.

خلق الله الخلق ليعبدوه، فقال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، أي: خلقهم لأمرهم بعبادة الله وحده ونهيهم عن عبادة كل من سواه، وقد جاءت آيات الكتاب العزيز دالة على هذه الدعوة إجمالاً وتفصيلاً، وجاءت الآيات أيضاً إجمالاً وتفصيلاً دالة على كفر أقوامهم بهم وبقائهم على ما كان عليه آباؤهم.

فمن الآيات الدالة إجمالاً على دعوة الرسل أمهم إلى أفراد الله بالعبادة قول الله عز وجل في سورة النحل: ﴿يُنزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْبِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، وقوله في سورة الأنبياء: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.

ومن الآيات الدالة إجمالاً على كفر أقوامهم بهم وبقائهم على ما كان عليه آباؤهم قول الله عز وجل في سورة إبراهيم: ﴿الَّذِينَ يَأْتِكُمْ نَبُوءًا مِنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿١﴾ * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَلِيهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخَّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ

مبين ﴿

وقد أخبر الله في هاتين الآيتين عن قوم نوح وعاد وشمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله أنهم قالوا لرسولهم: ﴿ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ ﴾، وأنهم قالوا: ﴿ إِن أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾.

ومنها قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾، وقوله في سورة الزخرف: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾، وقوله في سورة الذاريات: ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴾.

وأما الآيات الدالة تفصيلاً على دعوة كل رسول قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له ورد قومه عليه بالكفر به والبقاء على ما كان عليه الآباء:

فقد قال الله عن نوح في سورة الأعراف: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾، وقال في سورة هود: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٦﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾، وقال في سورة المؤمنون: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾، وقال في سورة الشعراء: ﴿ كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١١٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١١١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١١٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا نُوْحًا فِي سُوْرَةِ نُوْحٍ: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَنْقُورِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا اللَّهَ. ﴾

وقال عن رد قومه عليه في سورة المؤمنون: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَى ﴿١﴾.

وقال عن هود في سورة الأعراف: ﴿وَالِىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَنْقُومِ الْعِبَادُ لِلَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۗ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۗ﴾، وقال في سورة هود: ﴿وَالِىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَنْقُومِ الْعِبَادُ لِلَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۗ إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۗ﴾، وقال في سورة المؤمنون: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ۗ آخِرِينَ ﴿١٠٠﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۗ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۗ﴾، قيل: هو هود، وقيل: هو صالح، وقال في سورة الشعراء: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ۗ﴾، وقال في سورة فصلت: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادِ وَثُمُودَ ﴿١٠٤﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۗ﴾، وقال في سورة الأحقاف: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ الْبُحُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۗ﴾.

وقال عن ردِّ قومه عليه في سورة الأعراف: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ۗ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ۗ﴾، وقال في سورة هود: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۗ﴾، وقال في سورة الأحقاف: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّ عَنْ آلِهَتِنَا فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۗ﴾.

وقال عن صالح في سورة الأعراف: ﴿وَالِىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَنْقُومِ الْعِبَادُ لِلَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۗ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ﴾، وقال في سورة هود: ﴿وَالِىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَنْقُومِ الْعِبَادُ لِلَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۗ هُوَ

أَشْرَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴿١٠٠﴾، وقال في الشعراء: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ
 الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٣﴾
 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ، وقال في النمل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ
 اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿١٠٤﴾، وقال في فصلت: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ
 أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
 وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴿١٠٦﴾.

وقال عن ردِّ قومه عليه في سورة هود: ﴿قَالُوا يَنْصَلِحُ قَد كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا
 قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَدُنَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿١٠٧﴾.
 وقال عن لوط في الشعراء: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٨﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ
 أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١١٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ، وقال
 في القمر: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ ﴿١١١﴾.

وقال عن إبراهيم في سورة الأنعام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَأَزَرَ أَتَتَّخِذُ
 أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرِنكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١٢﴾، وقال في سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ
 قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ إِلَّا صَنَامَكَ ﴿١١٣﴾، وقال في
 مريم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَّبِعْتَنِي لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿١١٤﴾،
 وقال في الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿١١٥﴾ إِذْ قَالَ
 لِأَبِيهِ وَقَوْمِيءِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ عَابِدُونَ ﴿١١٦﴾، وقال: ﴿قَالَ
 أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿١١٧﴾ أَفَبِلُكُمُ وَلِمَا
 تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾، وقال في سورة الشعراء: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ
 نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿١١٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِيءِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّهَا
 عَنكِبِينَ ﴿١٢١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُم إِذْ تَدْعُونَ ﴿١٢٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُم أَوْ يَضُرُّونَ ﴿١٢٣﴾ قَالُوا

بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿١٤٠﴾، وقال في العنكبوت: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ
 اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ
 مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ
 لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٣٢﴾، وقال
 أيضاً: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَّيَلَعُنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا
 لَكُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿١٣٣﴾، وقال في الصافات: ﴿وَإِنَّ مِّن شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴿١٣٤﴾
 إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿١٣٥﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿١٣٦﴾ أَيِفْكَاءَ إِلَهَ
 دُونِ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿١٣٧﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٨﴾، وقال: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ
 ﴿١٣٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾، وقال في الزخرف: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ
 إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿١٤١﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿١٤٢﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي
 عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٤٣﴾، وقال في الممتحنة: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي
 إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ
 كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴿١٤٤﴾.

وقال في ردِّ قومه عليه: جواب أبيه في سورة مريم: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَن
 إِلَهِي يَتَّبِعُهُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿١٤٥﴾، وقال في الأنبياء: ﴿قَالُوا
 وَجَدْنَا آبَاءَنَا هَا عِبِيدِينَ ﴿١٤٦﴾، وقال: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا إِلَهَتَكُمْ إِن كُنْتُمْ
 فَاعِلِينَ ﴿١٤٧﴾، وقال في الشعراء: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿١٤٨﴾.

وقال عن شعيب في الأعراف: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورِ
 اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴿١٤٩﴾، وقال في
 هود: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ وَلَا

تَنْقُصُوا الْمَكِّيَالَ وَالْمِيزَانَ ﴿٤﴾، وقال في الشعراء: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٨﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا عَمَلَكُمْ﴾، وقال في العنكبوت: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾.

وقال عن ردِّ قومه عليه في الأعراف: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾، وقال في هود: ﴿قَالُوا يَشُعَيْبُ أَصْلَوْتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا﴾.

وقال عن يعقوب في البقرة: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ ءَابَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

وقال عن موسى في البقرة: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ كُفْرًا مِّن مِّن قَوْمٍ لَّا يَخْتَفُونَ ۚ إِنَّ أَكْثَرَهُمْ كٰفِرُونَ﴾، وقال في آل عمران: ﴿كَذٰبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۗ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، وقال في الأعراف: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾، وقال: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامِهِمْ قَالُوا يَا مَوْسَىٰ اجْعَلْ لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالِ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٦٤﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم بِفَاعِلُونَ ۗ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾، وقال: ﴿وَأَخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِن حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ مِّمَّ الرِّجَالِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْتَدِيهِمْ سَبِيلًا ۗ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾، وقال في الأنفال: ﴿كَذٰبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۗ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَاخَذَهُمُ اللَّهُ

بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦٠﴾، وقال: ﴿كَذَابَ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ
 مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ
 كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٦١﴾، وقال في التوبة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾، وقال في
 يونس: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا
 فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا
 لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦٣﴾، وقال في هود: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٦٤﴾ إِلَى
 فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَأَتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٦٥﴾، وقال في
 إبراهيم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
 وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٦٦﴾، وقال: ﴿وَقَالَ
 مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦٧﴾، وقال في
 الإسراء: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِنْ
 دُونِي وَكَيْلًا ﴿٦٨﴾، وقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَقَطَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
 إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿٦٩﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا
 أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿٧٠﴾،
 وقال في طه: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٧١﴾،
 وقال في المؤمنون: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٧٢﴾ إِلَى
 فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٧٣﴾، وقال في الفرقان: ﴿وَلَقَدْ
 آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٧٤﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ
 الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٧٥﴾، وقال في الشعراء: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ
 مُوسَىٰ أَنْ آتِنَا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿٧٧﴾، وقال في النمل: ﴿فَلَمَّا
 جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧٨﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا

أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠﴾، وقال في العنكبوت:
﴿ وَقُرُونِ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي
الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿١١﴾، وقال في غافر: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا
وَسُلْطَنِ مِيزِينَ ﴿١٢﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَقُرُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿١٣﴾،
وقال في الزخرف: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي
رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿١٥﴾، وقال في
القمر: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ ﴿١٦﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ
مُقْتَدِرٍ ﴿١٧﴾، وقال في المزمل: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٨﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴿١٩﴾، وقال في
النازعات: ﴿ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٠﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزْكَىٰ ﴿٢١﴾
وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿٢٢﴾.

وقال عن ردِّ قومه عليه في يونس: ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ
ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾، وقال في
القصص: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا
سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الْأُولِينَ ﴿٢﴾.

وقال عن عيسى في آل عمران: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّتْ يَدَىٰ مِنَ التَّوْرَةِ
وَلَأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَتَقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا ﴿١﴾ إِنَّ اللَّهَ نَفَىٰ وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٢﴾، وقال في
المائدة: ﴿ مَا قُلْتُ هُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ نَفَىٰ وَرَبُّكُمْ ﴿١﴾، وقال: ﴿ وَقَالَ
الْمَسِيحُ يَسَىٰ إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ نَفَىٰ وَرَبُّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ
عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢﴾، وقال في التوبة: ﴿ وَقَالَتْ

الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَقْوَاهِمَ
يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنِّي يُؤَفِّكُونَ ﴿٣٦﴾ أَخَذُوا
أَحْبَارَهُمْ وَرَهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أَمَرُوا إِلَّا
لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٧﴾ وقال في مريم:
﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
﴿٣٨﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٩﴾ وقال في الزخرف:
﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي
تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ
مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ وقال في الصف: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ
اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ
أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٢﴾

وقال عن سليمان في سورة النمل: ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ ﴿٤٣﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وقال عن إلياس في الصافات: ﴿ وَإِنَّ
إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٤٥﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٤٦﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا
وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿٤٨﴾

وقال عن يونس في الصافات: ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿٤٩﴾
فَعَامَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٥٠﴾

وقال عن يوسف: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ
كَافِرُونَ ﴿٥١﴾ وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ
بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ يَبْصُرِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٥٣﴾

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾.

وقد ختم الله الرسالات برسالة نبينا محمد ﷺ إلى الجن والإنس، فدلَّ أمته على كل خير، وحذرها من كل شرٍّ، وأعظم شيء دعاها إليه أفراد الله بالعبادة، وأعظم شيء نهاها عنه أن يُشرك معه أحد في العبادة، وقد أعلن ذلك أول ما بعثه الله بقوله ﷺ: « يا أيها الناس! قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » أخرج الإمام أحمد بإسناد صحيح (١٦٦٠٣)، وقد جاء في القرآن الكريم آيات كثيرة في دعوته إلى التوحيد وتحذيره من الشرك، وآيات كثيرة في ردِّ قومه عليه، وأتهم باقون على ملة آبائهم، فمن الآيات في الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك قوله عزَّ وجلَّ في البقرة: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٦٦﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦٧﴾، وقد ابتدئت الآية الأولى بالأمر بعبادة الله وحده، وختمت الآية الثانية بالنهي عن الشرك، وقوله في آل عمران: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهِمُ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٦٨﴾، وقوله في الأعراف: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَنَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٦٩﴾، وقال في الحج: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا

يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿١٠﴾، وقوله في الكهف وفصلت: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ ﴿١١﴾، وقوله في الذاريات: ﴿فَقِرُّوْا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾، وقوله ﴿قُلْ يَتَّخِذُونَ الْكُفْرَانَ ﴿١٤﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿١٥﴾ وَلَا أَنتُمْ عِبَادُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿١٦﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿١٧﴾.

ومن الآيات في ردِّ قومه عليه قوله تعالى في البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ﴿١٠٠﴾، وقوله في المائدة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ﴿١٠١﴾، وقوله في يونس: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴿١٠٢﴾ قَالَ الْكُفْرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾، وقوله في الأنبياء: ﴿وَإِذَا رَأَىٰكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَلَّذِي يَذْكُرُ ءِلَهَيْكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٠٤﴾، وقوله في الفرقان: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَلَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿١٠٥﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءِلَهَيْنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١٠٦﴾، وقوله في لقمان: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ﴿١٠٧﴾، وقوله في سبأ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٨﴾، وقوله في الصافات: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٠٩﴾ وَيَقُولُونَ أَيِنَّا لِتَارِكُوا ءِلَهَيْنَا لِشَاعِرٍ مُّجْتَوٍ ﴿١١٠﴾، وقوله في ص: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ

مَتَّيْمٌ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هٰذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ ﴿١٤١﴾ اَجْعَلِ الْاٰلِهَةَ اِلٰهًا وَّحِدًا ط اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿١٤٢﴾.

ولما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ يعوده وعنده رجلان، فقال له: يا عم! قل لا إله إلا الله؛ كلمة أحاجُّ لك بها عند الله، فقالا له: أترغب عن ملّة عبد المطلب؟! فكان آخر ما قال: على ملّة عبد المطلب « رواه البخاري (٣٨٨٤) ومسلم (٢٤) ».

وقد تبين بهذه الآيات الكثيرة الدالّة إجمالاً وتفصيلاً على دعوة الرسل أقوامهم إلى إفراد الله بالعبادة أنّ الواجب الاهتمام والعناية بالدعوة إلى توحيد الألوهية، اقتداءً برسول الله الكرام عليهم الصلاة والسلام؛ لأنّ التوحيد الذي خلق الله الخلق لأمرهم به ونهيه عن صرف العبادة لأحد سواه، وهو الذي من أجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، ولا يجوز التشاغل عنه بالاهتمام والعناية بتقرير توحيد الربوبية؛ لأنّ ذلك مركز في الفطر ولم تُنكره الأمم، بل هي مقرّة به، ولم يُدخلهم إقرارهم به في الإسلام، ومن الآثار السيئة المترتبة على اشتغال كثير من المنتسبين إلى العلم بتقرير توحيد الربوبية وعدم عنايتهم بتقرير توحيد الألوهية، ما ابتلي به كثير من الناس في مختلف البلاد الإسلامية من الافتتان بالقبور والبناء عليها واتخاذها مساجد، وما يحصل من كثير من الناس من دعاء أهلها والاستغاثة بهم وسؤالهم قضاء الحاجات وكشف الكربات، وغير ذلك ممّا لا يجوز أن يُطلب من غير الله.

ومن باب أولى ما يفعله بعض الناس من التشاغل عن تقرير توحيد الألوهية ودعوة المسلمين إلى إخلاص العبادة لله وحده وتحذيرهم من الشرك الذي ابتلي به المفتونون بالقبور، وذلك باشتغالهم بتقرير إثبات وجود الله بغية

إقناع الشيعيين؛ فإنَّ هذا وإن كان مطلوباً في الجملة، إلاَّ أنَّه لا يجوز أن يكون على حساب إهمال المحافظة على سلامة عقائد المسلمين، فإنَّ المحافظة على رأس المال مقدَّمةٌ على البحث عن الرِّبح، ومثَّل من يكون كذلك كالذي يُحاول أن يعمرَ قصرًا وهو يهدم مصرًا، وكالذي يُحاول أن يصيد الطير في الهواء وهو لم يحافظ على ما في حوزته من الطيور، وأوَّل شيء عمله أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته أنَّه صرف همَّته إلى إصلاح الخلل الداخلي الذي حصل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله من حصول الرِّدة من بعض المسلمين ومنعهم الزكاة، ثم بعد ذلك اتَّجه إلى إرسال الجيوش لغزو الفرس وغيرهم.



الفصل الرابع:

في تحريم البناء على القبور وأثاذاها مساجد وما يُفضي إليه من
الشرك بدعاء أهلها والاستغاثة بهم وسؤالهم قضاء الحاجات
وكشف الكريات، وغير ذلك مما لا يُطلب إلا من الله.

الشرك بالله عبادة غير الله معه، وهو أعظمُ ذنب عَصِي الله به، وهو الذنب
الذي لا يغفره الله، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ في آيتين من سورة النساء، وهو الذنب الذي يُخلد صاحبه في
النار أبد الأباد، ولا سبيل له للخروج منها، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّهُ مَنْ
يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ﴾، وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ
جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ
كَافِرٍ﴾، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاقِبَتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ
جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِعَاقِبَتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ
الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾، وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ
يَخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾، وفي صحيح
البخاري (٤٧٦١) ومسلم (١٤١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «سألت
رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك»
الحديث.

وقد كثرت نصوص الكتاب والسنة في النهي عن الشرك والتحذير منه
وبيان خطره، بل جاءت النصوص في سدِّ الذرائع التي تؤدِّي إليه، من ذلك

البناء على القبور وتعظيمها واتخاذها مساجد، وقد تواترت الأحاديث في ذلك عن رسول الله ﷺ، قال ابن القيم رحمه الله في كتابه إعلام الموقعين (٣/١٥١) في الوجوه التسعة والتسعين التي أوردها في سدّ الذرائع قال: «الوجه الثالث عشر: أن النبي ﷺ نهى عن بناء المساجد على القبور ولعن من فعل ذلك، ونهى عن تخصيص القبور وتشريفها واتخاذها مساجد، وعن الصلاة إليها وعندها، وعن إيقاد المصابيح عليها، وأمر بتسويتها، ونهى عن اتخاذها عيداً، وعن شدّ الرحال إليها؛ لئلاً يكون ذلك ذريعةً إلى اتخاذها أوثاناً والإشراك بها، وحرّم ذلك على من قصده ومن لم يقصده، بل قصد خلافه سداً للذريعة».

ومن أبواب كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «باب: ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسدّه كل طريق يوصل إلى الشرك»، و«باب ما جاء أن الغلوّ في قبور الصالحين يُصيرها أوثاناً تُعبُد من دون الله»، و«باب ما جاء أن سبّ كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلوّ في الصالحين»، و«باب ما جاء من التغليظ فيمن عبّد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبّده؟!»، وقد أورد آيات وأحاديث وأثاراً في ذلك، كما هي طريقته رحمه الله في هذا الكتاب.

ومن الأحاديث الواردة في تحريم البناء على القبور واتخاذها مساجد وغير ذلك ممّا هو وسيلة إلى الشرك ما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي الهيثاج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع تمثالاً إلا طمستّه، ولا قبراً مشرفاً إلا سويتّه»، وفي لفظ: «ولا صورةً إلا طمستّها».

وفي الصحيحين من حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما قالوا: «لما نُزل

برسول الله ﷺ طفق يطرحُ خميصةً له على وجهه، فإذا اغتمَّ بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: لعنةُ الله على اليهود والنصارى، اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد، يُحذِّرُ ما صنعوا».

وقولها ﷺ في الحديث: « لَمَّا نُزِلَ » يعنَيان الموت، وقد اشتمل هذا الحديث على ثلاثة أمور:

الأمر الأول: الدعاء على اليهود والنصارى باللَّعن.

الأمر الثاني: بيان سبب اللِّعن، وهو اتِّخاذ قبور أنبيائهم مساجد.

والأمر الثالث: بيان الغرض من ذكر ذلك، وهو تحذيرُ هذه الأمة من الوقوع فيما وقع فيه اليهود والنصارى، فيستحقُّوا اللِّعنة، قال الحافظ في الفتح (٥٣٢/١) في شرح هذا الحديث: « وكأنَّه ﷺ علم أَنَّهُ مرتحلٌ من ذلك المرض، فخاف أَن يُعظَّم قبره كما فعل مَنْ مضى، فلعن اليهود والنصارى إشارة إلى ذمِّ مَنْ يفعلُ فعلهم».

وثبت في صحيح مسلم من حديث جندب بن عبد الله البجلي أَنَّهُ قال: سمعتُ النَّبِيَّ ﷺ قبل أَن يموتَ بخمسين، وهو يقول: « إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَن يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَأَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنهَاكُمُ عَنْ ذَلِكَ».

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، وثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها وَصَفُ الَّذِينَ يَبْنُونَ الْمَسَاجِدَ عَلَى الْقُبُورِ بِأَنَّهُمْ شَرَّارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ.

وقد ذكر هذه الأحاديث وغيرها الشوكاني في كتابه شرح الصدور، ويأتي تخرجها حيث ذكرها.

وهذه الأحاديثُ الثابتة عن رسول الله ﷺ اشتملت على التحذير من اتخاذ القبور مساجد مطلقاً، وبعضها يُفيد حصول ذلك منه قبل أن يموت بخمس، وبعضها يُفيد حصول ذلك عند نزول الموت به، وفي ذلك أوضح دليل على أن هذا الحكم محكم غير منسوخ؛ لأن النبي ﷺ قال ذلك ولم يعش بعده، حتى يكون هناك مجال للنسخ.

والتحذيرُ من ذلك جاء على صيغ متعددة، فجاء بصيغة الدعاء باللَّعنة على اليهود والنصارى، وجاء بصيغة الدعاء بمقاتلة الله لليهود، وجاء بوصف فاعلي ذلك بأنهم شرارُ الخلق عند الله، وجاء بصيغة « لا » الناهية في قوله: « ألا فلا تتخذوا القبور مساجد »، وبصيغة لفظ النهي بقوله: « إني أنهاكم عن ذلك ».

وهذا من كمال نُصحه لأُمَّته ﷺ، وحرصه على نجاتها وشفقته عليها، صلى الله وسلم وبارك عليه، وجزاه أوفى الجزاء، وأثابه أتمَّ مثوبة.

وأتخذ القبور مساجد يشمل بناء المسجد على القبر، كما قال ﷺ في النصارى: « أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرارُ الخلق عند الله »، وهو في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها.

ويشمل قصدها واستقبالها في الصلاة، كما قال ﷺ: « لا تجلسوا على القبور، ولا تصلُّوا إليها »، أخرجه مسلم (٩٧٢) من حديث أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه. ويشمل السجود على القبر من باب أولى؛ إذ هو أخص من الصلاة إليه.

وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٧/٨) في ترجمة عبد الله بن لهيعة أن
الدفن في البيوت من خصائص النبي ﷺ.

أقول: وأما دفن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في حجرة عائشة رضي الله عنها، فإنما جاء تبعاً
لرسول الله ﷺ، ومن فضل الله عز وجل على هذين الرجلين العظيمين أن
جعلهما رفيقي رسول الله ﷺ الملازمين له في الدنيا، وجاريه في القبر، وبعد
البعث والنشور يكونان معه في الجنة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو
الفضل العظيم.

وأورد ابن كثير في البداية والنهاية ترجمة السيدة نفيسة بنت الحسن ابن زيد
القرشبية الهاشمية في حوادث سنة (٢٠٨هـ)، ونقل عن ابن خلكان أنه قال: «
ولأهل مصر فيها اعتقاد»، ثم قال ابن كثير: «وإلى الآن قد بالغ العامة في
اعتقادهم فيها وفي غيرها كثيراً جداً، ولا سيما عوام مصر، فإنهم يطلقون فيها
عبارات بشعة، فيها مجازفة تؤدي إلى الكفر والشرك، وألفاظاً كثيرة ينبغي أن
يعرفوا أنها لا تجوز...»، إلى أن قال: «... والذي ينبغي أن يُعتقد فيها: ما يليق
بمثلها من النساء الصالحات، وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور
وأصحابها، وقد أمر النبي ﷺ بتسوية القبور وطمسها، والمغالاة في البشّر
حرام...».

وكانت وفاة ابن كثير رحمته الله سنة (٧٧٤هـ).

ولا يجوز أن يُصلى في المساجد التي بُنيت على قبور، والواجب هدم
المسجد الذي بُني على القبر إذا كان القبر هو السابق، وإن كان الميت دُفن في
المسجد فيجب نبشه وإخراجه من المسجد، وأما مسجد نبينا محمد ﷺ ففضله
ثابت والصلاة فيه مضاعفة، وهي خير من ألف صلاة في غيره من المساجد إلا

المسجد الحرام، كما ثبتت بذلك السنة عن رسول الله ﷺ، سواء في ذلك ما كان قبل دخول القبر أو بعد دخوله.

وليس لأحد أن يتعلّق بوجود قبره ﷺ في مسجده لتجويز بناء المساجد على القبور أو دفن الموتى في المساجد؛ لأنّ النبيّ ﷺ هو الذي بنى مسجده ﷺ، وبنى بجواره بيوت أزواجه خارجاً منه، وبعد موته ﷺ دُفن في بيت عائشة، وقد بقيت البيوت على ما هي عليه خارج المسجد في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وعهد معاوية رضي الله عنه، وفي عهد خلفاء آخرين من خلفاء بني أمية وفي أثناء عهد بني أمية وُسّع المسجد وأدخل القبر فيه، وقد مرّ ذكر جملة من الأحاديث عن رسول الله ﷺ في التحذير من بناء المساجد على القبور، وهي أحاديث محكمة، منها ما قاله ﷺ قبل موته بخمس، ومنها ما قاله في لحظاته الأخيرة ﷺ، فلا يجوز ترك هذه الأحاديث المحكمة والتعويل على عمل حصل في أثناء عهد بني أمية.



الفصل الخامس:

حكم دعاء أصحاب القبور والاستغاثة بهم، ومتى يُحكم على مَنْ
دعاهم واستغاث بهم بالكفر؟

البناء على القبور واتخاذها مساجد من البدع المحرّمة التي تؤدّي إلى الشرك والكفر بالله، وأمّا دعاء أصحاب القبور والاستغاثة بهم وسؤالهم قضاء الحاجات وكشف الكربات، فهو شرك أكبر مُخرَج من الملة، ويُقال لهذا الفعل: شرك وكفر، ولا يُقال لكلّ من فعل ذلك إنّه مشرك كافر؛ فإنّ من فعل ذلك وهو جاهل معذورٌ لجهله حتى تُقام عليه الحجّة ويفهمها ثمّ يُصرّ على ذلك، فإنّه حينئذ يُحكم بكفره وردّته، والفتنة في القبور من الأمور التي يكون فيها لبسٌ عند كثير من الناس، ممّن نشأ في بيئة تعتبر تعظيم القبور ودعاء أصحابها من محبة الصالحين، لا سيما إذا كان بينهم أحد من أشباه العلماء الذين يتقدّمونهم في تعظيم القبور والاستغاثة بأصحابها، زاعمين أنّهم وسائط تقرب إلى الله.

والعذرُ بالجهل في مسائل التكفير والتبديع للشخص المعين هو الذي عليه كثيرون من أهل العلم، وهذه نماذج من أقوالهم في ذلك:

١ - قال الإمام الشافعي رحمته الله (٢٠٤هـ): «لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها، ومن خالف بعد ثبوت الحجّة عليه فقد كفر، وأمّا قبل قيام الحجّة فإنّه يُعذرُ بالجهل؛ لأنّ علم ذلك لا يُدرك بالعقل ولا الرؤية والفكر، فنُثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾». فتح الباري (١٣/٤٠٧).

٢- وقال أبو بكر بن العربي رحمته الله (٥٤٣هـ): «فالجاهل والمخطئ من هذه الأمة ولو عمل من الكفر والشرك ما يكون صاحبه مشركاً أو كافراً، فإنه يُعذر بالجهل والخطأ حتى تبيّن له الحجّة التي يكفر تاركها بياناً واضحاً، ما يلتبس على مثله، وينكر ما هو معلوم بالضرورة من دين الإسلام، ممّا أجمعوا عليه إجماعاً جليّاً قطعياً يعرفه كلُّ من المسلمين من غير نظر وتأمل». محاسن التأويل للقاسمي (١٣٠٧/٥ - ١٣٠٨).

٣- وقال ابن قدامة رحمته الله (٦٢٠هـ): «وكذلك كلُّ جاهل بشيء يُمكن أن يجهله، لا يُحكم بكفره حتى يعرف ذلك وتزول عنه الشبهة ويستحله بعد ذلك». المغني (٢٧٧/١٢).

٤- وقال النووي رحمته الله (٦٧٦هـ): «وكذلك الأمر في كلِّ من أنكر شيئاً ممّا أجمعت الأمة عليه من أمور الدين، إذا كان علمه منتشرّاً كالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان والاعتسال من الجنابة وتحريم الزنا والخمر ونكاح ذوات المحارم، ونحوها من الأحكام، إلا أن يكون رجلاً حديث عهد بالإسلام ولا يعرف حدوده، فإذا أنكر شيئاً منها جهلاً به لم يكفر». شرح صحيح مسلم (٢٠٥/١).

٥- وقال ابن تيمية رحمته الله (٧٢٨هـ) في مجموع الفتاوى (٥٢٣/١٢) - (٥٢٤): «من كان مؤمناً بالله ورسوله مطلقاً ولم يبلغه من العلم ما يبين له الصواب، فإنه لا يُحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجّة التي من خالفها كفر؛ إذ كثير من الناس يخطئ فيما يتأوله من القرآن ويجهل كثيراً ممّا يرد من معاني الكتاب والسنة، والخطأ والنسيان مرفوعان عن هذه الأمة، والكفر لا يكون إلا بعد البيان».

وقال أيضاً (٥٠١/١٢): «فليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تُقام عليه الحجّة، وتبين له المحجّة، ومن ثبت إيمانه بيقين، لم

يُزَلُّ ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة». وقال أيضاً (٦١٩/٧): «والتحقيق في هذا أن القول قد يكون كفرًا: كمقالات الجهمية الذين قالوا: إن الله لا يتكلم، ولا يرى في الآخرة، ولكن قد يخفى على بعض الناس أنه كفر، فيطلق القول بتكفير القائل، كما قال السلف: من قال: القرآن مخلوق فهو كافر، ومن قال: إن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر، ولا يكفر الشخص المعين حتى تقوم عليه الحجة».

وقال أيضاً في الرد على البكري (ص: ٢٥٨ - ٢٦٠): «فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم؛ لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك وزنى بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله؛ لأن الكذب والزنا حرام لحق الله تعالى، وكذلك التكفير حق لله، فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله، وأيضاً فإن تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجّة النبوية التي يكفر من خالفها، وإلا فليس كل من جهل شيئاً من الدين يكفر».

إلى أن قال: «وقد ثبت في الصحيحين حديث الذي قال لأهله: (إذا أنا مت فاسحقوني ثم ذروني في اليم، فوالله! لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين، فأمر الله البرّ فردّ ما أخذ منه، وأمر البحر فردّ ما أخذ منه، وقال: ما حملك على ما فعلت؟ قال: خشيتك يا ربّ! فغفر له)، فهذا اعتقد أنه إذا فعل ذلك لا يقدر الله على إعادته، وأنه لا يُعيدُه أو جوّز ذلك، وكلاهما كفر، لكن كان جاهلاً لم يتبين له الحقُّ بيانياً يكفر بمخالفته فغفر الله له».

٦ - وقال ابن القيم رحمته الله (٧٥١هـ) في طريق المهجرتين (ص: ٥٤٦): «إنّ العذاب يُستحقُّ بسببين:

أحدهما: الإعراض عن الحجّة وعدم إرادتها والعمل بها وبموجبها.

الثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها.

فالأول كفر إعراض، والثاني كفر عناد، وأمّا كفر الجهل مع عدم قيام الحجة وعدم التمكن من معرفتها، فهذا الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم حجة الرسل.».

٧- وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله (١٢٠٦ هـ): «وأمّا الكذب والبهتان، فمثل قولهم: إنّا نكفر بالعموم ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وإنّا نكفر من لم يكفر ومن لم يُقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه، فكلُّ هذا من الكذب والبهتان الذي يصدّون به الناس عن دين الله ورسوله، وإذا كنّا لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما؛ لأجل جهلهم وعدم من يُبهِهم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يُهاجر إلينا، أو لم يكفر ويُقاتل، سبحانه هذا بهتان عظيم.».

الدرر السنينة (١/٦٦).

وقد ذكرتُ في أثناء شرح شروط الصلاة وأركانها وواجباتها، للشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمته الله كلاماً يتعلّق بهذا الموضوع أنقله هنا:

[وقوله: ومعنى (التحيات): جميع التعظييات لله ملكاً واستحقاقاً، مثل الانحناء، والركوع، والسجود، والبقاء، والدوام، وجميع ما يعظم به رب العالمين فهو لله، فمن صرف منه شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر].

العبادة حق الله كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فيجب صرف جميع أنواع العبادة لله، ولا يجوز صرف شيء منها لغيره تعالى، فالصلاة لله، والركوع والسجود لله،

والاستغاثة بالله، والدعاء لله والتوكل على الله، والاستعاذة بالله، وهكذا جميع أنواع العبادة لله، قال الله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [١] لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، ومن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله، فهو مشرك كافر، وهذا الحكم إنما هو على الإطلاق وعلى من بلغته الحجة، وأما الشخص المعين فإذا حصل منه صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله، كدعاء الأموات والاستغاثة بهم، وهو جاهل فإنه يتوقف في تكفيره حتى يُبين له وتقام عليه الحجة، وهذا أحد قولين في المسألة، ذكرهما شيخنا عبد العزيز بن باز رحمته الله في جواب سؤال عن بعض أهل البدع، جاء فيه: « كذلك التوسل بالأولياء قسماً: (الأول): التوسل بجاه فلان أو حق فلان، هذا بدعة وليس كفراً. التوسل الثاني: هو دعاؤه بقوله: يا سيدي فلان انصرتني أو اشف مريضتي، هذا هو الشرك الأكبر وهذا يسمونه توسلاً أيضاً، وهذا من عمل الجاهلية، أما الأول فهو بدعة، ومن وسائل الشرك، قيل له: وقولهم: إنما ندعوه لأنه ولي صالح وكل شيء بيد الله وهذا واسطة. قال: هذا عمل المشركين الأولين، فقولهم: مدد يا بدوي، مدد يا حسين، هذا جنس عمل أبي جهل وأشباهه، لأنهم يقولون: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿ هَتُّؤَلَاءِ شَفَعْتُونَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨]، هذا الدعاء كفر وشرك بالله عز وجل، لكن اختلف العلماء هل يكفر صاحبه أم ينتظر حتى تقام عليه الحجة وحتى يبين له، على قولين: أحدهما: أن من قال هذا يكون كافراً كفراً أكبر لأن هذا شرك ظاهر لا تخفى أدلته، والقول الثاني: أن هؤلاء قد يدخلون في الجهل وعندهم علماء سوء أضلّوهم، فلا بد أن يبين لهم الأمر ويوضح لهم الأمر حيث يتضح لهم، فإن الله قال: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء: ١٥]، فإذا وضح لهم الأمر وقال لهم: هذا لا يجوز، قال الله كذا وقال الرسول كذا، بين لهم الأدلة، ثم أصروا على حالهم، كفروا بهذا، وفي

كل حال فالفعل نفسه كفر شرك أكبر، لكن صاحبه هو محل نظر هل يكفر أم يقال: أمره إلى الله، قد يكون من أهل الفترة لأنه ما يبين له الأمر فيكون حكمه حكم أهل الفترات، أمره إلى الله عزّ وجلّ، لأنه بسبب تلبس الناس عليه من علماء السوء» انتهى. نقلاً من كتاب (سعة رحمة رب العالمين للجهال المخالفين للشريعة من المسلمين) لسيد بن سعد الدين الغباشي، وفي أول الكتاب رسالة من الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله للمؤلف بتاريخ: ٧/٥/١٤٠٣ هـ، تتضمن إقرار الكتاب والإذن بطبعه.

والقول الثاني من القولين وهو التوقف في التكفير، قرره كثيرون من العلماء، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في كتاب الاستغاثة (٢/٧٣١): «فإننا بعد معرفة ما جاء به الرسول ﷺ، نعلم بالضرورة أنه لم يشرع لأُمَّته أن تدعو أحداً من الأموات، لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا غيرها، ولا بلفظ الاستعاذة ولا غيرها، كما أنه لم يشرع لأُمَّته السجود لميت ولا لغير ميت ونحو ذلك بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، لكن لغلبة الجهل، وقلة العلم بأثار الرسالة في كثير من المتأخرين، لم يكن تكفيرهم بذلك حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ، مما يخالفه، ولهذا ما بينت هذه المسألة قط لمن يعرف أصل الإسلام إلا تفتن، وقال: هذا أصل الدين، وكان بعض الأكابر من الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول: هذا أعظم ما بينته لنا، لعلمه بأن هذا أصل الدين».

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله: «وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا أو لم يكفر ويقاقل، سبحانه هذا بهتان عظيم». الدرر السنية

(١/٦٦)، وقال أيضاً: «بل نشهد الله على ما يعلمه من قلوبنا بأن من عمل بالتوحيد وتبرأ من الشرك وأهله فهو المسلم في أي زمان وأي مكان، وإنما نكفر من أشرك بالله في إلهيته بعدما نبين له الحجة على بطلان الشرك». مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٣/٣٤)، وقال أيضاً: «ما ذكر لكم عني أني أكفر بالعموم، فهذا من بهتان الأعداء، وكذلك قولهم: إني أقول: من تبع دين الله ورسوله وهو ساكن في بلده أنه ما يكفيه حتى يجيء عندي، فهذا أيضاً من البهتان، إنما المراد اتباع دين الله ورسوله في أي أرض كانت، ولكن نكفر من أقرّ بدين الله ورسوله ثم عاداه وصدّ الناس عنه، وكذلك من عبد الأوثان بعدما عرف أنه دين المشركين وزينه للناس، فهذا الذي أكفره وكل عالم على وجه الأرض يكفر هؤلاء إلا رجلاً معانداً أو جاهلاً». مجموع مؤلفات الشيخ (٣/٣٣).

وقال أيضاً: «وأما ما ذكر الأعداء عني أني أكفر بالظن وبالموالاتة أو أكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة، فهذا بهتان عظيم يريدون به تغيير الناس عن دين الله ورسوله». مجموع مؤلفات الشيخ (٣/١٤).

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في كتاب (منهاج التأسيس والتقديس ص: ٩٨-٩٩): «والشيخ محمد ﷺ من أعظم الناس توقفاً وإحجاماً عن إطلاق الكفر، حتى أنه لم يجزم بتكفير الجاهل الذي يدعو غير الله من أهل القبور أو غيرهم إذا لم يتيسر له من ينصحه ويبلغه الحجة التي يكفر تاركها، قال في بعض رسائله: «وإذا كنا لا نقاتل من يعبد قبة الكواز، حتى نتقدم بدعوته إلى إخلاص الدين لله، فكيف نكفر من لم يهاجر إلينا وإن كان مؤمناً موحداً». وقال: وقد سئل عن مثل هؤلاء الجهال، فقرر أن من قامت عليه الحجة وتأهل لمعرفة ما يكفر بعبادة القبور».

وقال أيضاً ﷺ في (مصباح الظلام ص: ٤٩٩): «فمن بلغته دعوة

الرسول إلى توحيد الله ووجوب الإسلام له، وفقه أن الرسل جاءت بهذا لم يكن له عذر في مخالفتهم وترك عبادة الله، وهذا هو الذي يجزم بتكفيره إذا عبد غير الله، وجعل معه الأنداد والآلهة، والشيخ وغيره من المسلمين لا يتوقفون في هذا، وشيخنا رحمته الله قد قرّر هذا وبينه وفاقاً لعلماء الأمة واقتداء بهم ولم يكفر إلا بعد قيام الحجة وظهور الدليل حتى إنه رحمته الله توقف في تكفير الجاهل من عباد القبور إذا لم يتيسر له من ينبهه، وهذا هو المراد بقول الشيخ ابن تيمية رحمته الله: حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فإذا حصل البيان الذي يفهمه المخاطب ويعقله فقد تبين له». وقال أيضاً في (مصباح الظلام ص: ٥١٦): «وشيخنا رحمته الله لم يكفر أحداً ابتداءً بمجرد فعله وشركه، بل يتوقف في ذلك حتى يعلم قيام الحجة التي يكفر تاركها، وهذا صريح في كلامه في غير موضع، ورسائله في ذلك معروفة».

وقال الشيخ محمد بن صالح بن عثمان في الشرح الممتع (١٩٤/٦): «لكن من كان جاهلاً ولم يكن عنده أي شبهة ويعتقد أن ما هو عليه حق أو يقول هذا على أنه الحق فهذا لا شك أنه لا يريد المخالفة ولم يرد المعصية والكفر، فلا يمكن أن نكفره حتى ولو كان جاهلاً في أصل من أصول الدين، فالإيمان بالزكاة وفريضة أصل من أصول الدين، ومع ذلك لا يكفر الجاهل، وبناء على هذا يتبين حال كثير من المسلمين في بعض الأقطار الإسلامية الذين يستغيثون بالأموال وهم لا يعلمون أن هذا حرام، بل قد لبس عليهم أن هذا ممن يقرب إلى الله، وأن هذا أمر الله، وهم مقتفون للإسلام وغيورون عليه، ويعتقدون أن ما يفعلونه من الإسلام، ولم يأت أحدٌ ينههم، فهؤلاء معذورون، لا يؤاخذون مؤاخذاً المعاند الذي قال له العلماء: هذا شرك، فيقول: هذا ما وجدت عليه آبائي وأجدادي، فإن حكم هذا الأخير حكم من قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾».

وإنما أفضت بذكر النقول عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في تقرير هذه المسألة، وهي أن تكفير المعين الذي وقع في الشرك في العبادة لجهله، إنما يكون بعد البيان له وإقامة الحجة، لا قبل ذلك، لأن من الجاهلين والحاقدين عليه وعلى دعوته، المبنية على الكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة، من يشنع عليه وينفر من دعوته، برميته بتكفير المسلمين، والتكفير بالعموم، وهو إنما يكفر من قامت عليه الحجة، وبانت له المحجة، ولأن نفراً يسيراً من طلبة العلم من أهل السنة فيما علمت يعيرون على من يقرّر ذلك وهو عيب لما قرّره شيخا الإسلام، ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهما من أهل العلم، ومع ذلك فإن الخطأ في العفو في الأمور المشتبهة، خير من الخطأ في العقوبة، وهم في عيهم القول الذي قرّره الشيخان والحرص على خلافه يفسحون المجال للمتربصين بأهل السنة الذين يصطادون في الماء العكر، فيردّون صدى نعيق أعداء الإسلام والمسلمين، الذين يزعمون أن تطرف من ابتلي بالتفجير والتدمير، راجع إلى دراسة مناهج التعليم المبنية على كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيره من أهل السنة، وهو بهت وزور ممن افتراه أو ردّه، فإن الذين ردّوا هذا النعيق من أهل هذه البلاد، قد درسوا كما درس غيرهم هذه المناهج، ولم يحصل لهم ضرر منها بل حصل النفع العظيم منها لكل من شاء الله هدايته وتوفيقه، وإنما حصل التطرف من هؤلاء المتطرفين لفهومهم الخاطئة التي شدّوا بها وخرجوا عن جماعة المسلمين، وقدوتهم في ذلك الخوارج الذين شدّوا وخرجوا على الصحابة نتيجة لفهومهم الخاطئة، ولكل قوم وارث].

وهذا آخر التقديم لكتّابي تطهير الاعتقاد وشرح الصدور للإمامين الصنعاني والشوكاني، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.